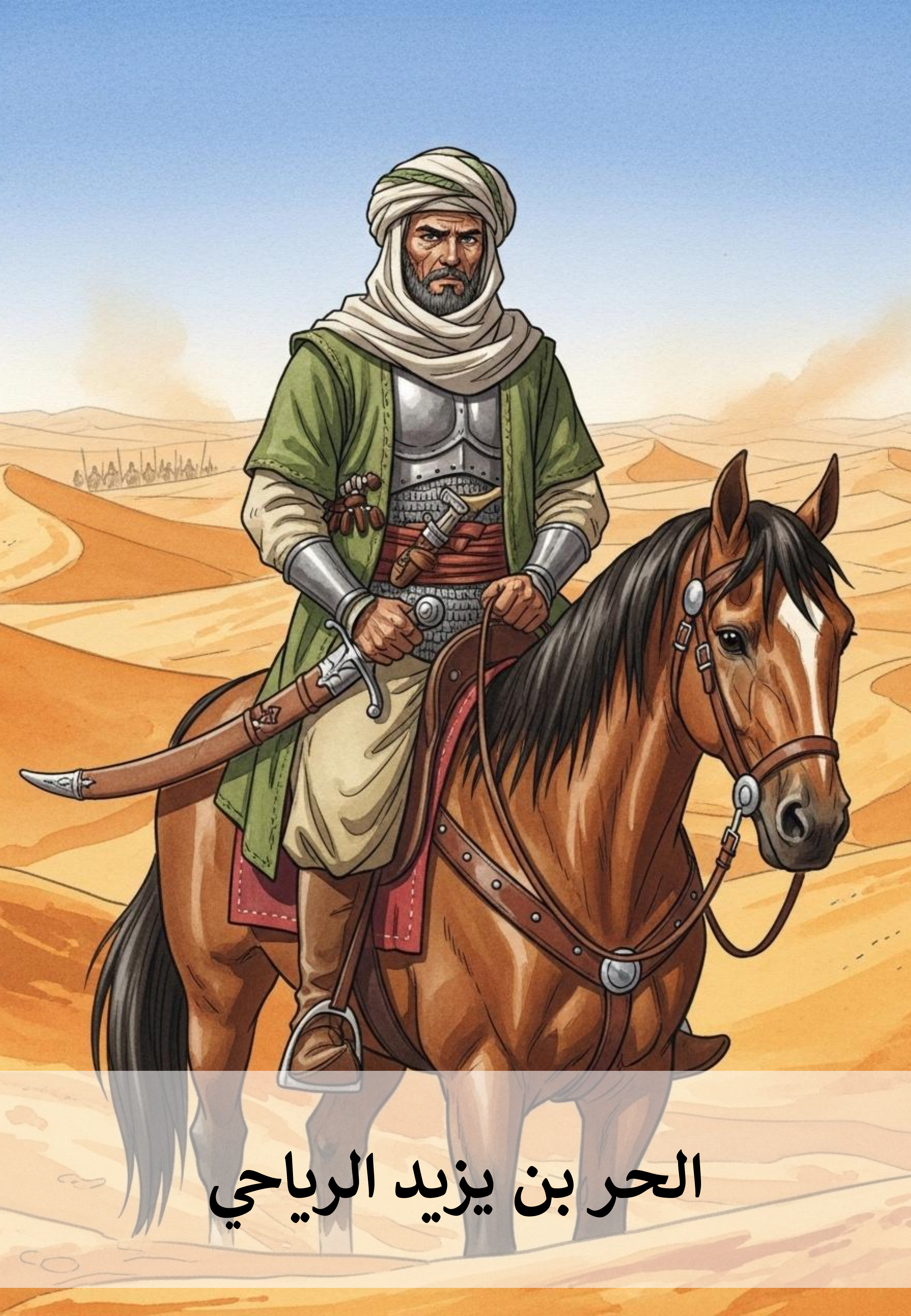


# الحر بن يزيد الرياحي

نشأ "الحر بن يزيد الرياحي" في بيوت الشرف والكرم بمدينة الكوفة، وتربى على معاني الفروسية العربية الأصيلة. كان شاباً يمتلئ حيوية وعنفواناً، وقد برز بين أقرانه بذكائه وسرعة بديهته وقوة ساعده، مما جعله محط الأنظار ومحل ثقة قادة الجيش. كان الحر يمثل النموذج الرفيع للفارس الذي يجمع بين القوة البدنية والسمو الأخلاقي، يرتدي ثياباً تعكس وقاره، ويسير في شوارع الكوفة كقائد يهابه الجميع ويحترمه الصغير والكبير.



في قصر الإمارة المظلم، جلس عبيد الله بن زياد، والي الكوفة، يخطط لوأد نهضة الإمام الحسين. استدعى الحر وأمره بمهمة ثقيلة: "يا حر، خذ معك ألف فارس، واعترض طريق الحسين ولا تتركه حتى تنزله في أرض قفرة". كان الحر ينظر إلى الوالي بجدية، وعلى الرغم من انضباطه العسكري، إلا أن قلبه كان يرتجف لذكر اسم الحسين، ابن بنت رسول الله. لكن الأمر كان حازماً، فانطلق الحر لتنفيذ ما كُلف به.



تحت أشعة الشمس التي تصهر الرمال، قاد الحر جيشه المكون من ألف فارس في صحراء الحجاز. كان الغبار يتصاعد خلفهم كالسحب، والحر في المقدمة يراقب الأفق بعينين ثاقبتين. كانت المهمة شاقة، والحرارة لا ترحم، لكن هيبة القيادة كانت تظهر في كل حركة من حركات الحر وهو يوجه رجاله، باحثاً عن القافلة التي ستغير مسار حياته إلى الأبد.



التقت الجيوش عند منطقة "ذي حُسَم"، وكان العطش قد نال من الحر ورجاله ومن خيولهم حتى كادت تهلك. في تلك اللحظة، ظهر الإمام الحسين بقافلته، وبدلاً من أن يبدأ بالقتال، تجلت أخلاق النبوة في أبهى صورها. وقف الحر مذهولاً وهو يرى الإمام الحسين يأمر أصحابه بسقاية الجيش المعادي، بل وتجاوز ذلك إلى سقاية الخيول أيضاً.



اقترب الإمام الحسين من أحد خيول جيش الحر الذي كان يلهث من شدة الظمأ، وبدأ يسقيه الماء بيده الكريمة. كان المشهد مؤثراً للغاية؛ فالإمام لم يفرق بين صديق وعدو في تقديم الرحمة. كان الحر يراقب هذه اللحظة بصمت، وشعر بشيء ما يتحرك في أعماق وجدانه، فكيف لهذا الرجل الذي يطاردونه أن يكون بكل هذا الكرم والنبل؟



تأثر أحد جنود الحر بشدة من شدة العطش، ولم يستطع أن يروي عطشه لصعوبة الإمساك بالقربة. فما كان من الإمام الحسين إلا أن دنا منه وساعده بنفسه حتى ارتوى. الحر، الذي كان يراقب المشهد من بعيد مع أحد كبار فرسانه، بدأ يدرك أن موازين القوة لا تقاس بالسيوف فقط، بل بهذه الأخلاق التي لا تمتلكها إلا النفوس العظيمة.



حان وقت صلاة الظهر، فنادى الإمام الحسين للصلاة. وهنا وقع اختيار الحر العظيم؛ إذ قرر أن يصلي هو وجيشه خلف الإمام الحسين بدلاً من الصلاة منفردين. وقف الحر خلف الإمام، وفي خشوع الصحراء، كان صوت الحسين يرتل آيات الله بوقار يهز القلوب. شعر الحر في تلك اللحظة بأنه لا يقف خلف قائد عسكري، بل خلف نور من نور الله.



وصلت الجيوش إلى أرض كربلاء، واشتد الحصار على معسكر الإمام الحسين. جاء عمر بن سعد ليتولى القيادة العامة لجيش الكوفة، وبدأ يضغط على الحر ليحدد موقفه. كان ابن سعد يتحدث بلغة الدنيا والمناصب، بينما كان الحر يراقب خيام الحسين التي لا يُسمع منها إلا دوي العبادة. بدأ الحر يشعر بضيق شديد، وكأن الجبال تطبق على صدره من هول الموقف.



في ليلة العاشر من محرم، كان الحر يتردد ذهاباً وإياباً في معسكره، وقد غلبه القلق. رآه صديقه المهاجر بن أوس وهو يرتجف، فسأله مستغرباً: "والله يا حر، ما رأيت منك في معاركنا مثل هذا القلق، فما بك؟". أجاب الحر بصوت متهدج: "إني والله أخير نفسي بين الجنة والنار، ووالله لا أختار على الجنة شيئاً ولو قطعت وحرقت". كانت تلك لحظة الولادة الحقيقية لروح الحر.



وقبيل الفجر، بدأ الحر ينسحب بفرسه بهدوء نحو معسكر الحسين. رآه قريبه قرّة بن قيس فظن أنه يريد الهجوم، فسأله عن وجهته، لكن الحر لم يجبه ومضى في طريقه. كان الحر يلقي خلفه كل ألقاب القيادة وأطماع السلطة، متوجهاً بقلبه وروحه نحو الحق، يحدوه أمل وحيد: أن يقبله الحسين تائباً ومؤمناً بنهجه.



وصل الحر إلى خيام الإمام الحسين، فنكس رأسه حياءً وخجلاً، وترجل عن جواده ثم ألقى بنفسه عند قدمي الإمام وهو يبكي ويقول: "يا بن رسول الله، هل لي من توبة؟". استقبله الإمام الحسين برحمة الواثق وحنان الأب، وبسط يده الشريفة ليرفع رأس الحر قائلاً له بكلمات نزلت على قلبه كالبرد والسكينة: "نعم، يتوب الله عليك، فأنزل".



استبسل الحر في الدفاع عن الإمام الحسين حتى سقط شهيداً فوق رمال كربلاء. جاء إليه الإمام الحسين، وجلس بجانبه يمسح الدم والتراب عن جبهته، وقال قوله الذي خلده التاريخ: "أنت الحر كما سمتك أمك، أنت حر في الدنيا وسعيد في الآخرة". فاضت روح الحر وهو يبتسم، بعد أن سطر بدمائه أعظم ملحمة للتحول من ظلام التبعية إلى نور الحرية واليقين.



# النهاية

الحر بن يزيد الرياحي

الطبعة الأولى - ٢٠٢٦م